FRATERNITÀ DI COMUNIONE E LIBERAZIONE

associazione di diritto pontificio civilmente riconosciuta

Uffici: Via De Notaris, 50 - 20128 Milano - e-mail: clfrat@comunioneliberazione.org

ميلانو، في 12 آذار/مارس 2020

أصدقائي الأعزّاء،

على الرغم من أنّه لم تصدر بعدُ أيّة تدابير من جانب السلطات تتعلّق بشهر نيسان/أبريل المقبل، إلا أنّ الحالة الصحّيّة الطارئة والمشكلات المتعلّقة بتنظيم نشاطاتنا تتطلّب منّا إلغاء جميع المواعيد المعتادة في هذا الوقت من العام: رياضة الأخويّة، رياضة العمّال، ثلاثيّة فصح طلاب المدارس، نشاطات الجامعيّين خلال أسبوع الآلام، درب الصليب، ومدرسة الجماعة على شبكة التواصل في الأوّل من نيسان/أبريل.

هذا القرار، الذي تفرضه الحالة الطارئة، لا يجعل الوجود الخبيث لفيروس الكورونا يختفي من بيننا ولا يخفّف من التهديد الذي يمثّله، ولا يسمح لنا بتحويل أنظارنا، كما لو لم يكن الأمر من شأننا. فهو يؤثر علينا جميعًا، شئنا أم أبينا. ومع الجميع نتشارك بنفس السؤال: كيف يمكننا أن نتوقّف كأناس أمام هذا الظرف؟

في هذه المناسبات – التي لا يجنّبنا إيّاها السرّ الإلهيّ – يمكننا أن ندرك بشكل أوضح نعمة الكاريزما التي وصلتنا، متحقّقين من قدرتها على جعلنا نتوقّف أمام ما يحدث. قال لنا دون جوسّاني: «إنّ الشرط الوحيد لنكون دومًا متديّنين هو أن نعيش الواقع بزخم دائم» (الحسّ الدينيّ، مطبعة البطريركيّة اللاتينيّة، القدس، 2006، ص 130). إنّ مفهوم التديّن هذا هو الذي يجعلنا نعترف بأيّ ظرف كدعوة. «إنّ عيش الحياة على أنّها دعوة يعني الميل إلى السرّ من خلال الظروف التي يجعلنا الربّ نقطعها، مقدّمين إجابة عليها. [...] الدعوة هي الذهاب إلى المصير معانقين جميع الظروف التي يجعلنا السرّ نقطعها» (الواقع والشباب. التحدّي، ريتسولي، ميلانو 2018، ص 65). كان جوسّاني على دراية جيّدة بالدوار الذي يقود إليه هذا الأمر في الحياة: «الإنسان، حياة الإنسان العقلانيّة، يجب عليها أن تتعلّق باللحظة، أن تكون معلّقة في كلّ لحظة بهذه العلامة المتغيّرة ظاهريّا، والعَرَضيّة، التي هي الظروف التي يدعوني "السيّد" المجهول من خلالها ويجرّني ويستثيرني لدخول مخطّطه. والإجابة بنعم عند كلّ لحظة دون رؤية شيء، مستسلمًا ببساطة الى ضغط الفرص. إنّه موقف يسبّب الدوار» (الحسّ الدينيّ، مرجع سابق، ص 162).

من الصعب العثور على تعبير أكثر ملاءمة لوصف الموقف الذي نجد أنفسنا فيه عندما نتوقّف حقًّا أمام ما يحدث: أن نشعر بالدوار لتعلّقنا «في كلّ لحظة بهذه العلامة المتغيّرة ظاهريّا، والعَرَضيّة، التي هي الظروف». ومع ذلك، فإنّ هذا هو الموقف العقلانيّ الوحيد، لأنّ حضور السرّ، حضور هذا السيّد "المجهول"، يدعونا من خلال تلك الظروف، ويستثيرنا لدخول مخطّطه، لتحقيق كمال الحياة.

لكنّ «العقل لا يتساهل، وقد عيل صبره، في الالتزام بالعلامة الوحيدة التي يتبع من خلالها المجهول، علامة

خامدة، مظلمة، دكناء، غير شفّافة، طارئة ظاهريًّا، كتسلسل الأحداث: كالشخص الذي يجرفه تيّار النهر الى هنا وهناك» (الحسّ الدينيّ، مرجع سابق، ص 162). في هذه الأسابيع، سيتمكن كلّ فرد من معرفة الموقف الذي يسود في نفسه: إذا كانت هناك رغبة في التمسّك بعلامة السرّ، إلى اتّباع استحثاث الواقع، أو الانسياق والانجرار نحو أيّ "حلّ"، واقتراح، وتفسير، لمجرّد صرف فكره عن هذا الاستحثاث، وتجنّب هذا الدوار. سيتمكّن كلّ واحد منّا بعد ذلك من التحقّق من القوام الحقيقيّ "للحلول" التي يلجأ إليها.

كيف نحافظ على رفقتنا في هذه الحالة؟ ما هي الرفقة التي نحتاجها حقًّا؟ كم مرّة نسعى للحصول على إجابة عن طريق إفراغ الحدث الذي وصل إلينا، واختزاله إلى دائرة من العلاقات التي تحمينا من تأثير الأمور، ممّا يعفينا من تحدّي الظروف، بدلاً من دفعنا إلى عيشه! لكن مثل هذه الرفقة لا يمكنها الإجابة: في مثل هذه اللحظات التي نمرّ بها، والتي تصبح فيها الحاجة الملحّة للعيش لا مفرّ منها وقويّة، تصبح أكثر وضوحًا من أيّ وقت مضى.

تخرّج شابّ من أصدقائي وبدأ حياة جديدة. وبالتالي لم يعد بإمكاننا رؤية بعضنا البعض كما كان الأمر عندما كان في الجامعة. وعندما شكا لي مؤخّرًا هذا الأمر ذكّرته بمقطع من الإنجيل. ذات يوم وجد التلاميذ أنفسهم في قارب مع يسوع وأدركوا أنّهم نسوا أن يحملوا بعض الخبز. وعلى الرغم من أنّهم شهدوا معجزتين عظيمتين – تكثيرين للأرغفة لا مثيل لهما في التاريخ – إلا أنّهم بدأوا يتشاجرون بسبب نسيانهم الخبز. وأشرت إلى صديقي بأنّ يسوع كان بجانبهم على متن القارب! ومع ذلك ظلّوا يشكون! لم تكن المشكلة أنّهم كانوا وحدهم، لأنّ يسوع كان معهم، ولكن بالنسبة لهم كان الأمر كما لو أنّه لم يكن هناك. وفي الحقيقة كانوا يتجادلون لأنّ ليس لديهم خبز! ولكي يشير يسوع إلى موضع المشكلة، لا يقوم بمعجزة أخرى. فما الفائدة من القيام بمعجزة أخرى، بعد كلّ التي رأوها؟ أيّة مساهمة يقدّمها إذن يسوع؟ يطرح عليهم ثلاثة أسئلة. الأوّل: «كم عدد الأرغفة المتبقّية بعد التكثير الأوّل؟». ثم: «كم تبقّى من التكثير الثاني؟» والأخير: «أما زلتم لا تفهمون؟» (راجع مرقس 8، 19–21). كم هي ثمينة المساهمة التي يقدّمها يسوع لأصدقائه بعدم تجنيبهم الأسئلة! إنّه لا يضيف تفسيرات، ولا يقوم بمعجزات أخرى، لكنّه يحثّهم، من خلال خبرتهم، على استخدام العقل بشكل كامل، حتى يتمكّنوا من إدراك من التقوا به (كان معهم سيّد "المخبز"!). إذا لم يفهموا، انتبهوا، فذلك ليس لأنّهم كانوا بمفردهم أو لم تكن لديهم عناصر كافية، بل لأنّهم لم يستخدموا بعدُ العقل بشكل جيّد. فقد كشف يسوع عن نفسه أمامهم من خلال الآيات العديدة التي رأوها، من خلال إجابة استثنائيّة، تتوافق في النهاية مع القلب، ومع احتياجاتهم واحتياجات الآخرين، في مناسبات عديدة، حتى الدراميّة منها، لكنّهم لم يتعرّفوا بعد إلى من يكون، بهذا الاعتراف الذي يسمّى الإيمان والذي «يزهر على الحدّ الأقصى من الديناميّة العقلانيّة مثل زهرة النعمة، التي ينضمّ إليها الإنسان بحرّيّته» (خلق آثار في تاريخ العالم، بور، ميلانو 2019، ص 45–46).

يغتنم يسوع كلّ ظرف ليُبيّن لتلاميذه طريقته في التصرّف أمام كلّ ما يحدث، أمام أيّ أمر غير متوقع، ولو كان مؤلمًا، وذلك لكي يختبروا تناسُب حضوره، والعلاقة معه – علاقة الإيمان –، مع احتياجات الحياة. «إنّ مضمون الإيمان – الله الذي تأنّس، يسوع المسيح الذي مات وقام – والذي يبرز في لقاء، أي في مرحلة تاريخيّة معيّنة، يشمل كل لحظاته وجوانبه، كما لو أنّ دوّامة جلبتها إلى ذلك اللقاء ويتعيّن تناولها من وجهة نظره، وفق الحبّ الذي ينبع منه، ووفقًا لإمكانيّة الاستفادة منه لمصيرنا ولمصير الإنسان الذي يقترحه اللقاء» (خلق آثار في تاريخ العالم، مرجع سابق، ص 40). إذا لم يصبح اللقاء بالنسبة لنا مثل دوّامة يتمّ فيها جلب جميع لحظات الحياة وجوانبها، فسوف نجد أنفسنا ضائعين أمام كلّ أمر جديد غير متوقّع، وكلّ مأزق جديد.

وهكذا، في ظل ظرف تلو الآخر، وفي الخبرة المستمرّة لـ "مصلحة" غير متوقّعة، «يصبح اللقاء، بطبيعته الشموليّة، بمرور الوقت [دعونا نشدّد: بمرور الوقت] الشكل الحقيقيّ لكلّ علاقة، الشكل الحقيقيّ الذي أنظر فيه إلى الطبيعة، إلى نفسي، إلى الآخرين، إلى الأشياء. إنّ اللقاء، إذا كان شموليّا، يصبح شكلاً وليس مجرّد مجال للعلاقات: فهو لا يؤسّس رفقة كمكان للعلاقات فحسب، بل هو الشكل الذي يتم فيه تصوّرها وعيشها» (خلق آثار في تاريخ العالم، مرجع سابق مذكور، ص 40).

في هذا المستوى من المسألة – الاعتراف بالطبيعة الشموليّة للقاء، الذي يصبح الشكل الحقيقي لكلّ علاقة – تأتي حضورات "صديقة" لمساعدتنا، تشهد لنا بالطريقة التي تسمح لنا بأن نعيش وضعًا كالوضع الحالي. حضورات لا نخطّط لها نحن، استثنائية للغاية – حتّى في ظروف الجميع –تجعلنا عاجزين عن الكلام، في صمت. «فجأة اقتادوني إلى الخندق. يبدو وكأنّنا في حالة حرب. لقد تغيّر برنامج عملي وأسرتي في يوم واحد. كطبيبة، وكأمّ، وكزوجة أجد نفسي أنام في عزلة عن زوجي، ولم أرَ أطفالي منذ أسبوعين، ولا أتمكّن من الاتّصال المباشر بالمريض. بيني وبين مرضاي هناك قناع ولباس يغطّي الجسم بكامله. غالبًا ما يتعلّق الأمر بمسنّين يعيشون بمفردهم هذه اللحظة. إنّهم خائفون. يموتون لوحدهم. ولا يمكن للأقارب، المعزولين في منزلهم، مساعدة أحبائهم، ويتلقّون مكالمات هاتفية في الليل أبلغهم فيها بوفاة أحد أفراد أسرتهم: الهاتف بيني وبينهم. ماذا يمكنني أن أفعل لهم إنسانيًّا كمسيحيّة؟ أدخل إلى القسم وأبحث عن ابتسامة وأحتضن ممرّضة صديقة، ففي هذه اللحظة من العزلة، أحتاج أيضًا إلى الشعور جسديًّا بأنّني مع غيري. ولا يسعني إلا أن أعانقهم وحدهم. في مواجهة كلّ هذا، تشدّ من عزيمتي إعادة قراءة رسالة كارّون إلى صحيفة الكوريير ديللا سيرا كلّ يوم («إليكم كيف نتعلّم التغلّب على الخوف في الصعوبات»، 1 آذار/مارس 2020، ص 32)، ممّا يساعدني على وضع نفسي في موقف منفتح، وعلى أن أتساءل عمّا يثبت فعلا. أنا مدعوّ للاعتراف بما هو أساسيّ وحقيقيّ. ثم هناك المسيرة كلّها التي قمنا بها على نصّ مدرسة الجماعة: المحنة هي الطريقة التي يمكن أن ينمو بها الإيمان إذا لعبت الحريّة دورها أمام "التفضيل" الذي يطلب منّا كلّ شيء. وهذا أمر مذهل. يجب علينا الوثوق وتقبّل هذه المخاطرة. فاليقين الذي يدعم حياتنا هو رابط، وهناك درب يتعيّن سلوكه للوصول إلى هذا اليقين العاطفيّ. فالظروف قد أعطيت لنا لنتعلّق به (بالربّ) بشكل أكبر، وهو يدعونا بطريقة غامضة. الإيمان هو الوثوق بأنّه يدعونا. "فقط عندما يسيطر الأمل الأكيد، يمكننا مواجهة الظروف دون أن نهرب". إنّنا مدعوّون أكثر من أيّ وقت مضى للردّ على الربّ الذي يدعونا بطريقة غامضة. هذا هو اليقين الذي يمكنني تقديمه لمرضاي، للأقارب، علاوة على تقديم الرعاية الطبّيّة».

هذا هو التحدّي الذي يواجهه كلٌّ منّا. في هذه اللحظة، التي تتفشّى فيها العدميّة، فإنّ الاعتراف بالمسيح وبالـ "نعم" له، حتى في العزلة التي قد يضطرّ كلّ منا للعيش فيها، هو منذ الآن المساهمة في خلاص كلّ إنسانٍ اليومَ، وذلك قبل أيّة محاولة مشروعة للحفاظ على رفقتنا، والتي يجب متابعتها في حدود ما هو مسموح به. لا شيء أكثر إلحاحًا من هذا الوعي الذاتيّ.

حتى لو لم نتمكّن من القيام برياضة الأخويّة، فلا شيء يمنعنا من مواصلة مسيرتنا لزيادة اليقين باستمرار، ذاك «الأمل الأكيد» الذي نحتاجه إطلاقًا للعيش في هذه الظروف. لذا أرسل إليكم السؤال الذي فكّرت به لإعداد الرياضة، وهو وثيق الصلة بالوضع كما لم يسبق أبدًا: «**ما الذي ينتشلنا من العدم؟**».

لقد رأينا جميعًا مدى فائدة السؤال الذي تمّ إرساله العام الماضي لنكون متنبّهين إلى الخبرة التي نمرّ بها. هذا العام يمكنه أن يكون أكثر حسمًا. لذلك أدعو من يرغب في إرسال مساهمته إلى العنوان التالي comunicazionifrat@comunioneliberazione.org

سنرى بعدها كيف نثمّن معًا مسار الأسابيع التي تنتظرنا وكيف نردّ بالطريقة الأنسب على الأسئلة التي ستبرز. منفتحين على ما هو غير متوقع.

إنه وقت غير مسبوق ومثير. ما مدى الإيماءات العزيزة علينا مثل صلاة التبشير في الصباح والظهيرة والمساء، وصلاة "اذكري يا مريم البتول الحنون" قبل النوم، والعمل اليوميّ، الشخصيّ والعائليّ، على مدرسة الجماعة، وتضرّع "هلمّ أيّها الروح القدس" عند الاستيقاظ وفي كلّ لحظة تصبح فيها الظروف صعبة للغاية لدرجة أنّنا نحتاج إلى الصراخ كي نقدر على الوقوف أمامها!

أوصيكم بأعمال المحبّة الأخويّة، مع الانتباه للاحتياجات التي تظهر بيننا، والبقاء على تواصل قدر الإمكان، مستفيدين على أفضل وجه من جميع الوسائل التي تقدّمها لنا التكنولوجيا اليوم.

وأخيرًا، ووفقًا لدعوة البابا فرنسيس، «فلنواصل الصلاة من أجل المرضى والعاملين في مجال الصحّة والعديد من الناس الذين يعانون من هذا الوباء».

أعانقكم فردًا فردًا في هذا الصوم الحاسم لتوبتنا إلى المسيح المنتصر على الموت.

دعونا نرافق بعضنا بعضًا، منساقين إلى تحدّي الأوقات التي نعيشها، حتى لا نفوّت على أنفسنا الفرصة التي أعدّها لنا السرّ!

ودمتم،

دون خوليان كارّون

Julián Carrón